رؤيا الخالق والمخلّص
(رؤ ٤ - ٥)

الخوري ميشال صقر

مقدمة

نحن أمام مشهد من سفر الرؤيا يرفع القلب إلى السماء ويجذب المؤمن إلى المكان الذي طالما رغب في الإقامة فيه. هذا ما عبّر عنه القديس بولس بقوله «ما لم تبصره عينٌ، ما لم تسمع به أذنٌ، ما لم يُدركه ذهنٌ، يُعطى للأبرار» (١قور ٢: ٩). إنّ انخطاف يوحنا إلى السماء ورؤيته للخالق وللمخلّص يشجعان القارئ على عيش هذه الخبرة الممكنة على هذه الأرض من خلال الصلاة. فما يُروى في رؤ ٤ - ٥ هو وصفٌ للسماء في جوٍّ ليتورجي مليء بالأناشيد وغنيّ بالرموز. إنّ الإنسان قد خُلق ليسبّح الله ويعبده ويشكره ولكي يجدَ فيه سلامه، راحته وسكونه.

يقع هذا المشهد من الرؤيا بعد الرسائل إلى الكنائس السبع (رؤ ٢ - ٣) وقبل الختوم السبعة (رؤ ٦: ١ - ٨: ٥). وقبل الرسائل، جرت رؤيا افتتاحية أولى تمّت في يوم الرب (رؤ ١: ١٠)، حرفيًا في «اليوم السيّدي، dimanche = dies dominica، الذي فيه يُحتفل بالانتصار الفصحي للمسيح والذي فيه يُعلَن عن مجيئه النهائي. ففي هذه الرؤيا الأولى حمل ابنُ الانسان في يمينه الكواكب السبعة التي هي كنائس سبع مع أساقفتها السبعة، وسلّم لكلّ واحدة منها رسالة بواسطة يوحنا. وبعد انتهاء هذه المهمّة، رأى يوحنا بابًا مفتوحًا (رؤ ٤: ١)، وسمع صوتًا يدعوه للصعود إلى السماء.

فماذا يرى يوحنا في السماء؟ ما معنى الرموز الكونية، الحيوانية، العددية والإنسانية التي يجعلنا نتصوّرها من خلال رؤياه؟ وما هي الخلاصة الروحية التي نستنتجها من هذا المشهد؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في ما يلي في هذا المقال.

١- رؤيا الخالق وعرشه (رؤ ٤)

أ- التصميم:

٤: ١-٢أ صعود يوحنا إلى السماء

٤: ٢ب-٣ رؤيا العرش

٤: ٤-٨أ رؤيا البلاط السماوي

٤: ٨ب-١١ ليتورجية التسبيح

٤: ١-٢أ صعود يوحنا إلى السماء

١ رأيتُ بَعدَ ذلك بابًا مَفْتوحًا في السَّماء، وإذا الصَّوتُ الأوَّلُ الَّذي سَمِعتُه يُخاطِبُني كأنَّه بوق، يَقول: إصعَدْ إلى هَهُنا، فسأُريكَ ما لا بُدَّ من حُدوثِه بَعدَ ذلك. ٢ فاختَطَفَني الرُّوحُ لِوَقتِه.

٤: ٢ب-٣ رؤيا العرش

وإذا بِعَرشٍ قد نُصِبَ في السَّماء، وعلى العَرشِ قد جَلَسَ واحِدٌ. ٣ والجالِسُ على العَرشِ مَنظَرُه أشبَهُ بِحَجَرِ اليَشْبِ والياقوتِ الأحمَر، وحَولَ العَرشِ هالَةٌ مَنظَرُها أشبَهُ بِالزُّمُرُّد

٤: ٤-٨أ رؤيا البلاط السماوي

٤وحَولَ العَرشِ أربَعَةٌ وعِشْرونَ عَرشًا، وعلى العُروشِ جَلَسَ أربَعَةٌ وعِشْرونَ شَيخًا يَلبَسونَ ثِيابًا بيضًا وعلى رُؤُوسِهِم أكاليلُ مِن ذَهَب. ٥ومِنَ العَرشِ تَخرُجُ بُروقٌ وأصْواتٌ ورُعود، وتَتَّقِدُ أمامَ عَرشِه سَبعَةُ مَصابيحَ مِن نارٍ هي أرْواحُ اللهِ السَّبعَة. ٦ وأمامَ العَرشِ مِثلُ بَحرٍ شفَّافٍ أشبَهَ بِالبِلَّور. وفي وَسَطِ العَرشِ وحَولَ العَرشِ أربَعَةُ أحْياءٍ رُصِّعَتْ بِالعُيونِ مِن قُدَّام ومِن خَلْف. ٧ فالحَيُّ الأوَّلُ أشبَهُ بِالأسَد، والحَيُّ الثَّاني أشبَهُ بِالعِجْل، والحَيُّ الثَّالِثُ لَه وَجهٌ كوَجهِ الإنْسان، والحَيُّ الرَّابِعُ أشبَهُ بِالعُقابِ الطَّائِر. ٨ ولِكُلٍّ مِنَ الأحْياءِ الأربَعَةِ سِتَّةُ أجنِحَةٍ رُصِّعَت بِالعُيونِ مِن حَولِها ومِن داخِلِها

٤: ٨ب-١١ ليتورجية التسبيح

وهي لا تَنفَكُّ تَقولُ نَهارًا ولَيلاً: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوس الرَّبُّ الإلهُ القَدير الذي كانَ وهو كائِنٌ وسيَأتي. ٩ وكُلَّما رَفَعَتِ الأحْياءُ التَّمجيدَ والإكرامَ والشُّكرَ إلى الجالِسِ على العَرشِ، إلى الحَيِّ أبدَ الدُّهور، ١٠ يَجْثو الأربَعَةُ والعِشْرونَ شَيخًا أمامَ الجالِسِ على العَرْش، ويَسجُدونَ لِلحَيِّ أبَدَ الدُّهور، ويُلقونَ أكاليلَهم أمامَ العَرشِ ويَقولون: ١١أنتَ أهلٌ أيُّها الرَّبُّ إلهُنا،

لأن تَنالَ المَجدَ والإكرامَ والقُدرَة. لأنَّكَ خَلَقتَ الأشياءَ كُلَّها وبِمَشيئَتِكَ كانَت وخُلِقَت.

ب- الشرح:

تبدأ الرؤيا بترك عالم الأرض، وصعود يوحنا إلى عالم السماء: إنّ أشعيا وحزقيال مثلاً لم يُدعوَا للصعود. وقول الله له «سأريك ما لا بدّ من حدوثه» ونَقْله من قبل الروح إلى السماء يدلّان على التدخّل من قبل الله إلى جانب البشر. الاختطاف بالروح (رؤ ٤: ٢) يعني أنّ يوحنا هو أحد الأنبياء الذين كانوا يوفّرون لجماعاتهم كلمات موحاة أثناء الليتورجيا. الكتاب المنحول «صعود أشعيا» (من نهاية القرن الأول المسيحي) يشهد لظاهرة الانخطافات في القرن الأول. وفعل «سأريك» يعني سأكشف لك، سأشركك في الحقيقة. هذه الدعوة للصعود إلى السماء تعني أنّ باب السماء أصبح مفتوحًا لكل مسيحي لمشاهدة مجد الرب وللعيش بحضرته.

نحن في رؤيا افتتاحية نرى فيها السماء، والأشخاص التاليين: الله الجالس على العرش، أربعة وعشرين شيخًا، وأربعة أحياء:

- فالجلوس (٤: ٢) علامة الثبات: إنّ الله ثابت على عرشه ومُلكه لا يتزعزع. أمّا قوس القزح الذي حوله فهو علامة الشباب الأبدي والتألّق فائق الإدراك والنور الذي يعترم القديسين. من خلال تسمية الأحجار الكريمة (ياقوت، زمرّد..) يضعنا يوحنا في جوّ منوّر محضِّر لليتورجيا التسبيح.

- الشيوخ الأربعة والعشرون (٤: ٤) ممكن أن يكونوا ١٢ سبطًا من العهد القديم مع ١٢ رسولاً. وممكن أن يكونوا صورة لأربعة وعشرين كاهنًا يؤلّفون إكليلاً حول الاسقف ويلتفّون حوله.

- بالنسبة الأحياء الأربعة (٤: ٦)، فالصورة مأخوذة من النبيّ حزقيال (حز ١: ٥) وكان إيريناوس ده ليون (+٢٠٢) أوّل مَن طبّقها على الانجيليين الأربعة على الشكل التالي: نحن أمام ٤ انواع حيوانات وبالتالي ٤ صفات: الانسان من فصيلة بشر، الصفة: حكمة، الإنجيليّ: متى. الأسد من فصيلة الحيوانات المفترسة، الصفة: النُبل، الإنجيليّ: مرقس. الثور من فصيلة الحيوانات الداخليّة الأليفة، الصفة: القدرة، الإنجيليّ: لوقا. النسر من فصيلة الطيور، الصفة: الخلود، الإنجيليّ: يوحنا.

نرى أنّ لكل من الأحياء الأربعة ستة أجنحة: فالأجنحة علامة السرعة؛ وإذا عدنا إلى أش ٦: ٢ نعرف كيف استُعملت الأجنحة الستّة: جناحان لتغطية الوجه، إثنان لتغطية الرجلان، وآخران للطيران. الأجنحة رُصّعت بالعيون من حولها ومن داخلها (رؤ ٤: ٨): فالعيون علامة المعرفة. وعبارة «ليلاً ونهارًا» تعني أنهم من الساهرين الواعين، كما نقول في السريانية «عِيُرا»، أيّ أنّهم يقظون ويتحسّسون حضور الله ويقومون بواجب خدمته. كان الأحياء الأربعة يقومون بالأفعال أو الحركات الليتورجية التالية: «يسجدون، يلقون أكاليلهم أمام العرش، ويرفعون المجد والاكرام والشكر». إنّها حركات كانت تُعمَل للامبراطور الروماني أمّا بالنسبة للمسيحيين «فالامبراطور» الوحيد هو الله. أمّا القول عن الله «قدوس» (أش ٦) فهذا يعني أن الله مفصول، آخر، مختلف، هو غير ما يمكننا التفكير به. وذِكر «قدوس» ثلاث مرّات ممكن أن يكون ماخوذًا من القداس الإلهي الذي كانت الجماعات المسيحية تحتفل به. يُدعى الله باسم ثالوثيّ: «الذي كان»: الآب؛ «الكائن»: الابن؛ «الذي سيأتي»: الروح القدس. والسبب الأساسي لهذا التمجيد موجود في عبارة «لأنك خلقتَ» (رؤ ٤: ١١): إنّه نشيد تسبيح لله الخالق.

خلاصة القول حول الفصل الرابع من الرؤيا: إنّ الأحياء الأربعة يمجّدون الجالس على العرش، أي إنّ الأقطاب الأربعة للعالم، الشمال والجنوب والشرق والغرب، وبالتالي، العالم المخلوق، يسبّح الخالق.

٢- رؤيا الحمل الفادي (رؤ ٥)

أ- التصميم:

٥: ١-٥ رؤيا الكتاب المختوم

٥: ٦-٧ رؤيا الحمل يأخذ الكتاب

٥: ٨-١٤ ردود الفعل على أخذ الكتاب

٥: ١-٥ رؤيا الكتاب المختوم

١ورَأيتُ بِيَمينِ الجالِسِ على العَرشِ كِتابًا مَخْطوطًا مِنَ الدَّاخِلِ والخارِجِ، مَخْتومًا بِسَبعَةِ أخْتام ٢ ورَأيتُ مَلاكًا قَوِيًّا يُنادي بِأعلى صَوتِه: مَن هو أهلٌ لِفَتحِ الكِتابِ وفَضِّ أخْتامِه؟ ٣ فما استَطاعَ أحَدٌ في السَّماءِ ولا في الأرضِ ولا تَحتَ الأرضِ أن يَفتَحَ الكِتابَ ولا أن يَنظُرَ ما فيه. ٤ فجَعَلتُ أبكي بُكاءً شَديدًا، لأنَّه لم يوجَدْ أحَدٌ أهلاً لأن يَفتَحَ الكِتابَ ويَنظُرَ ما فيه. ٥ فقالَ لي واحِدٌ مِنَ الشُّيوخ: لا تَبكِ. ها قد غَلَبَ الأسَدُ مِن سِبطِ يَهوذا، ذُرِّيَّةُ داوُد: فسيَفتَحُ الكِتابَ ويَفُضُّ أخْتامَه السَّبعَة.

٥: ٦-٧ رؤيا الحمل يأخذ الكتاب

٦ ورَأيتُ بَينَ العَرشِ والأحْياءِ الأربَعَةِ وبَينَ الشُّيوخِ حَمَلاً قائِمًا كأنَّه ذَبيح، لَه سَبعَةُ قُرون وسَبْعُ أعيُنٍ هي أرْواحُ اللهِ

السَّبعَةُ الَّتي أُرسِلَت إلى الأرضِ كُلِّها. ٧ فأتى وأخَذَ الكتابَ مِن يَمينِ الجالِسِ على العَرْش.

٥: ٨-١٤ ردود الفعل على أخذ الكتاب

٨ولَمَّا أخَذَ الكِتاب، جَثا الأحْياءُ الأربَعَةُ والشُّيوخُ الأربَعَةُ والعِشرونَ أمامَ الحَمَل، وكانَ مع كُلِّ واحِدٍ مِنهم كِنَّارَةٌ وأكْوابٌ مِن ذَهَب مُلِئَت عُطورًا هي صَلَواتُ القِدِّيسين. ٩ وكانوا يُرَتِّلونَ نَشيدًا جديدًا فيَقولون: أنتَ أهلٌ لأن تَأخُذَ الكِتابَ وتَفُضَّ أخْتامَه، لأنَّكَ ذُبِحتَ وافتَدَيتَ للّهِ بدَمِكَ أُناسًا مِن كُلِّ قَبيلَةٍ ولِسانٍ وشَعبٍ وأُمَّة. ١٠ وجَعَلتَ مِنهم لإلهِنا مَلَكَةً وكَهَنَةً سيَملِكونَ على الأرْض. ١١وتَوالَت رُؤيايَ فسَمِعتُ صَوتَ كَثيرٍ مِنَ المَلائِكَةِ حَولَ العَرشِ والأحْياءِ والشُّيوخ، وكانَ عَدَدُهم رِبْواتِ رِبْواتٍ وأُلوفَ أُلوف، ١٢ وهم يَصيحونَ بأعْلى أصْواتِهم: الحَمَلُ الذَّبيحُ أهلٌ لأن يَنالَ القُدرَةَ والغِنى والحِكمَةَ والقُوَّةَ والإكْرامَ والمَجدَ والتَّسْبيح. ١٣ وكُلُّ خَليقَةٍ في السَّماءِ وعلى الأرضِ وتَحتَ الأرضِ وفي البَحرِ، وكُلُّ ما فيها، سَمِعتُه يَقول: لِلجالِسِ على العَرشِ وِلِلحَمَلِ التَّسْبيحُ والإكْرامُ والمَجدُ والعِزَّةُ أبَدَ الدُّهور. ١٤وكانَتِ الأحْياءُ الأربَعَةُ تقول: آمين. وجَثا الشُّيوخُ ساجِدين.

ب- الشرح:

تستكمل رؤيا الفصل الخامس ما بدأ في الفصل الرابع. فنحن لا نزال في السماء وأمام العرش. لكن تظهر شخصية أخرى هو «الحمل» الوحيد الذي يمكنه أن يحمل الكتاب المختوم بسبعة أختام ويفضّ ختومه. وما إن أخذ الكتاب حتى توالت ردود الفعل الممجّدة له من قبل الأحياء الأربعة والشّيوخ الأربعة والعشرين وجمهور كبير من الملائكة ومن قبل كل خليقة.

إنّ المسيح في الرؤيا له رمزان: أسد (رؤ ٥: ٥؛ تك ٤٩: ٩) وحمل (رؤ ٥: ٦ و١٢؛ خر ١٢؛ أش ٥٣: ٧). «فتْح الباب وتبيان أختامه» يعني أنّ شؤون العالم بيد يسوع المسيح. ممكن أن يكون الكتاب، الذي لم يستطع أحدٌ ان يفتحه، العهد القديم الذي يبقى معناه الحقيقي غامضًا وغير مفهوم لولا مجيء المسيح (Etienne Charpentier). إذًا فقط مسيح الكتب بإمكانه فتح الكتاب.

إنّ العدد الذي لا يُحصى من المسبّحين يعني قوّة مملكة الله وثباتها. فالعدد «ربوة واحدة» (٥: ١١) عند الأقدمين، ١ myriade، هو ١٠ آلاف. وبذلك، عدد المنتصرين المالكين مع الله أو التابعين له هو عدد كبير لا يُستهان به.

إنّ كل السرّ الفصحي مُختصَر بكلمتين: حمل وذبيح

(٥: ١٢)؛ أي، الذبيحة حسب أش ٥٣ التي تُقدَّم حتى تفدي وتخلّص. هذا الحمل الذبيح هو منتصر وممجَّد من خلال الصليب. وهذه هي الصورة التي يرسمها لنا يوحنا الانجيلي في انجيله: بصعوده على عرش الصليب يصبح الحمل منتصرًا. ما يجمع بين سفر الرؤيا والإنجيل الرابع هو الفكر اليوحنّوي الواحد حول المسيح الحمل والكاهن (يو ١: ٢٩؛ ١٩: ٣٦؛ و١٩: ٢٣). فالمسيح هو «ذبيح» لأنه يحمل في جسده سمات بشريتنا المجروحة. في جسده الممجَّد قال يسوع لتوما: «هاتِ يدك وضعها في جنبي وجراحاتي».

إنّ المسيحي يتعلّم من الحمل الذبيح الواقف أنّه انسان منتصر، مجروح ببشريّته لكنّه شُفي بقيامة المسيح.

٣- خلاصة روحية

بعد دراسة هذين النصّين (رؤ ٤ - ٥) نستخلص أفكارًا لاهوتية روحية ثلاثة مهمّة تتعلّق بكلّ صفحات سفر الرؤيا هي التالية:

أ- البعد الثالوثي:

بالرغم من أنّنا لا نجد في الرؤيا تعليمًا واضحًا حول سر الثالوث الأقدس، إلاّ أننا نجد في العنوان (١: ٤-٥) عبارة ثالوثية فريدة: «الكائن والذي كان والآتي». فعبر صفحات هذا الكتاب نجد أنّ الآب هو حقًا ابو ربنا يسوع المسيح، الجالس على عرش المجد في السماء وخالق الكل. والابن هو يسوع المسيح الشاهد الأمين للآب والحمل المذبوح الحي القائم والأسد الظافر؛ وهو ابن الانسان الآتي على السحاب

ليدين، والمسيح الملك الذي يرعى كافة الامم، والحاضر دائمًا في الكنيسة وله كما أبيه البركة والكرامة والمجد الى دهر الدهور. أما الروح القدس فيعبر عنه الكاتب ثلاث مرات في سفر الرؤيا بـ«الارواح السبعة». وهو تعبير عريق عن غنى مواهب الروح القدس للمؤمنين في الكنيسة الأولى: الروح يقول ما يقوله يسوع نفسه للكنائس ويكمّل في الكنيسة عمل الآب والابن.

ب- البعد الليتورجي:

إنّ هذين النصّين (رؤ ٤ - ٥) يحويان نشيدين مهمَّين: نشيد تسبيح للخالق (٤: ٨ و١١) ونشيد آخر للمخلّص الفادي (٥: ٩-١٠ و١٢-١٤). بذلك نفهم أنّ العالم الأرضي الممثّل بالأحياء الأربعة، والبشرية الممثّلة بالأربعة وعشرين شيخًا، وأهل السماء والملائكة، جميعهم مدعوّون للتسبيح بنشيد «جديد» بفضْل الخلق والخلاص. فكلّ المخلوقات، ما يُرى وما لا يُرى، عليه ان يشترك في هذا الـ concert العالمي في التسبيح. إنّ كتاب سفر الرؤيا مطبوع بأكمله بالليتورجيا التي على كنيسة الأرض القيام بها كمشاركة في ليتورجية السماء وكاستباق لعيشها الدائم في أورشليم السماوية. فمن «يرتّل يصلّي مرّتين» كما يقول القديس أوغسطينوس. إنّ الحركات الليتورجية والتعابير النشيدية هي علامة على الحياة الخالدة التي تجري في عروق الذين يقومون بها.

ج- البعد الخلاصي:

في الرؤيا المكتوبة في زمن المحنة والاضطهاد نجد حوافز تدفع المؤمن بالتفكير بالخلاص. فالخلاص هو عطيّة الله للإنسان إذ انّه هو مصدره؛ محقق الخلاص هو يسوع المسيح في شخصه واعماله؛ أمّا انعكاساته فتطال كل الخلائق وخاصة المؤمنين الذين يعيشونه في حياتهم وينشرونه من خلال تصرّفاتهم وخاصة «استشهادهم». فالأناشيد التي تسبّح الله على خلقه لنا وخلاصه منثورة عبر جميع صفحات سفر الرؤيا (٤: ٨ و١١؛ ٥: ٩-١٠ و١٢-١٤؛ ٧: ١٠؛ ١٢: ١٠؛ ١٩: ١...). لنتعلّم إذًا في كل أزمنة حياتنا، في الفرح والحزن، في الشدّة والفرج، أن نسبّح الله، وان نعيش الخلاص، الذي حقّقه الحمل الفادي بموته وقيامته، الآن في هذه الحياة، ولا نعيش منتظرين الحصول عليه فقط بعد الممات. فالخلاص مرتبط بالاسكاتولوجيا: لقد تمّ «déjà là» مع المسيح، لكنّه لم يتمّ بعد نهائيًا «pas encore» بالكامل إذ علينا أن نعيشه وننشره من حولنا، كما يقول بولس الرسول: «إنّ الخَليقةَ تَنتَظِرُ بِفارِغِ الصَّبْرِ تَجَلِّيَ أبناءِ اللهِ...لأنَّها هي أيضاً ستُحَرَّرُ مِن عُبودِيَّةِ الفَسادِ لِتُشارِكَ أبناءَ اللهِ في حُرِّيَّتِهم ومَجْدِهم. فإنَّنا نَعلَمُ أنَّ الخَليقةَ جَمْعاءَ تَئِنُّ إلى اليَوم مِن آلامِ المَخاض. ولَيسَت وَحْدَها، بل نَحنُ الَّذينَ لَنا باكورةُ الرُّوحِ نَئِنُّ في البَاطِنِ مُنتظِرينَ التَّبَنِّي، أي افتِداءَ أجسادِنا» (روم ٨: ١٩-٢٣).

خاتمة

في هذين الفصلين من الرؤيا (رؤ ٤ - ٥) نحن أمام لوحتَين أساسيّتين من تاريخ البشرية: الخلق والخلاص. عندما خلق الله الإنسان أراد أن يشركه في سماء مجده. لا تتحدّث اللوحتان عن الخطيئة والشر لكنّ موضوع هذه القوى يملأ سفر الرؤيا في الفصول التالية (رؤ ٦ - ٢٠).

الخلق، السقطة، والخلاص: هذه هي قصّة حب الله للبشر. وإذ ننتظر اليوم المجيء الثاني، نعيش زمن الكنيسة، زمن الليتورجيا والعبادة، التي نستوحيها من سفر الرؤيا، قائلين: «ماراناتا»، تعال أيها الرب يسوع.

المراجع

الفغالي بولس، رؤيا القديس يوحنا، دراسات بيبليّة ١١، الرابطة الكتابية، جونيه ١٩٩٥.

الفغالي بولس، سفر الرؤيا بين الأمس واليوم، دراسات بيبليّة ١٥، الرابطة الكتابية، جونيه ١٩٩٧.

BOISMARD, M.E., « L'apocalisse di Giovanni » in A. GEORGE - P. GRELOT, Introduction critique au Nouveau Testament, trad. it. Introduzione al Nuovo Testamento, vol. 4, la tradizione giovannea, Parigi 1977, 12-50.

Collectif, « L'apocalypse d'Angers, chef-d'œuvre de la tapisserie médiévale » in Dossier de l'Art 31 (1996) 4-65.

Collectif, « Une lecture de l'Apocalypse » in Cahiers Evangile 11 (1975) 5-46.

FOCANT, C. - MARGUERAT, D., ed., Le Nouveau Testament commenté, Genève 2012.

PRIGENT, P., L'Apocalypse de Saint Jean, Paris 1981.

TUÑI, J.O. - ALEGRE, X., Escritos joánicos y cartas católicas, trad. port. Escritos Joaninos e cartas católicas, vol 8 Introdução ao estudo da Bíblia, São Paulo 2007.